المحاضرة التاسعة

الشعراء الفرسان

معنى الفروسية:

ورد في معاجم اللغة غير اشتقاق لمادة (فرس) كالفراسة والفروسة، والفروسية، وكلها تعني: الحذق بأمر الخيل، وركوبها والثبات عليها، والتصرف على أحوالها، فقد جاء في لسان العرب:

الفرس: واحد الخيل، والجمع أفراس الذكر والأنثى في ذلك سواء، والفارس صاحب الفرس على إرادة النسب والجمع فرسان وفوارس.

والفراسة (بالفتح) مصدر قولك رجل فارس على الخيل.

يُقال: رجل فارس بيّن الفروسية، والفراسة في الخيل: هو الثبات عليها، والحذق بأمرها.

والفارس: الحاذق بركوب الخيل وركضها والثبات عليها.

من كل ما تقدم نفهم أنّ الشعراء الفرسان: هم جماعة من الشعراء أظهروا بطولة نادرة في حربهم لخصومهم وأقرانهم وهم على ظهر الفرس، إذ كان لهؤلاء الفرسان مهارة في ركوب الخيل والقفز عليها.

ومن أشهر هؤلاء الشعراء الفرسان في العصر الجاهلي هو عنترة بن شداد العبسي، وهو أحد فارس احتفظت به ذاكرة العرب في أجيالهم التالية إلى يومنا الحاضر. وكان أبوه من أشراف عبس، أما أمه فكانت حبشية يقال لها (زبيبة)، وقد ورث عنها سواده، ولذلك كان يُعدّ من (أغربة العرب)، إذ كانوا يطلقون على الشعراء السود بالأغربة أي يُشبّهونهم بالغراب الأسود اللون، كما ورث عنترة بن شداد من أمه تشقق شفتيه، ولذلك كان يقال له (عنترة الفلحاء). وكان من عادة العرب في الجاهلية إذا استولدوا الإماء لا يلحقوهم بأنسابهم إلا إذا أظهروا نجابة وشجاعة. ولهذا لم يعترف شداد بعنترة ابناً له إلا بعد ما أبداه من بسالة في حروب داحس والغبراء. وكان عنترة بن شداد يحب ابنة عمه (عبلة) وطلبها من عمه مالك فأباها عليه (لم يزوجها له) لسواده ولأنه ابن أمة سوداء، وقد ظل الشاعر (عنترة) يتغنى بعبلة طوال حياته مع احساسه بالحزن واليأس ومن ثم كان يمكن أن يُعدّ "أباً" لشعر الحب العذري عند العرب، كما يعد فحل "أباً" للفروسية العربية.

يقول عنترة بن شداد في خطابه لابنة عمه (عبلة):

هلّا سألتِ الخيل يا ابنة مالكٍ إن كنتِ جاهلةً بما لم تعلمي
إذ لا أزالُ على رحالة سابحٍ نهدٍ تعاوره الكماةُ مُكلَّم
طوراً يُجرّدُ للطّعان وتارةً يأوي إلى حصد القسيّ عرمرمِ
يُخبركِ مَنْ شهد الوقيعة أنّني أغشى الوغى وأعفّ عند المغنمِ

فهو يقول لعبلة هلا سألتِ الفرسان عن حالي في القتال إن كنتِ جاهلة بها، ثم يقول: وإن سألتِ هؤلاء الفرسان عن حالي في الحرب سيخبرك من حضر منهم الحرب بأني كريم عالي الهمة آتي الحروب وأنا على ظهر فرس ضخم تتناوب الأبطال في جرحه، وكذلك سيخبروك بأني أعف عن اغتنام الأموال، فعنترة كما يقول لا يحارب من أجل الأسلاب والغنائم، وإنما يحارب ليكسب لقومه شرف الانتصار.

ومن الشعراء الفرسان الآخرين
عامر بن الطفيل ، يقول في ذلك :

لقد علمتْ عُلْيا هوازنَ أنني ... أنا الفارسُ الحامى حقيقةَ جعفرِ (٢)
وقد علم المزنوقُ أنى أكُرُّهُ ... على جَمْعهم كرَّ المَنيحِ المشهَّرِ (٣)
إذا ازورَّ من وَقْع الرماح زَجَرْتُهُ ... وقلتُ له : ارجعْ مقبلاً غير مُدْبرِ (٤)
وأنبأْتُه أن الفِرار خَـزَايةٌ ... على المرء ما لم يُبْلِ جهدًا ويُعْذِرِ (٥)
ألستَ ترى أرماحهم فىَّ شُرَّعا ... وأنت حِصانٌ ماجِدُ العِرْق فاصبرِ (٦)
وقد علموا أنى أكُرُّ عليهمُ ... عشية فَيْفِ الريح كَرَّ المدوِّرِ (٧)
وما رِمْتُ حتى بَلَّ نحرِى وصدْرَه ... نجيعٌ كهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُسَيَّرِ (٨)

وهو يصور فى هذه القطعة اقتحامه للحروب ، وكيف أنه لا يتخلىَّ عن بسالته الحربية ، حتى يحمى عشيرته وضعفاءها ونساءها ، ويقول إنه لا يزال يردّ إلى الحرب فرسه المزنوق كلما خرج منها ، وإن ازورَّ عنها أو انحرف دفعه فيها دفعاً ، أما الفرار وعاره فدونه الموت ، ويدعو فرسه إلى التأسى به ، فالرماح تنوشه من كل جانب وهو يهجم على أعدائه غير مبال ، ويدعو فرسه إلى الصبر معه ، حتى

ينالا شرف النصر جميعاً ، ويلمع أمام عينيه يوم فيف الريح وهو يوم من أيام العرب وما أظهر فيه من بسالة ، ويقول إنه لم يبرح موضعه في ميدان القتال ، حتى غرق نحره وصدر فرسه بالدماء .